تجليات الحوارية في روايات إبراهيم مضواح – رواية جبل حالية أنموذجًا

The Manifestations of Dialogue in the Novels of Ibrahim Madwah – Jabal Haliya Novel as a Model

سعيد علي الشهري *

جامعة الملك خالد ـ كلية العلوم الإنسانية ـ قسم اللغة العربية

المملكة العربية السعودية

seeeam85@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2023 /03/01 ـ تاريخ القبول: 2023/05/30 ـ تاريخ النشر: 2023/06/30

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحليل بعض معطيات الحوارية في راوية جبل حالية لما تميزت به هذه الرواية بحسب قراءتنا من تنوع واختلاف على مستوى الرؤى والشخصيات وعلى مستوى تعدد اللغات، وتوظيف بعض الأساليب الأخرى داخل المتن الروائي، وسوف يحاول البحث الإجابة على التساؤلات الآتية : ما مدى اشتغال آليات الحوارية في رواية جبل حالية ؟ وكيف تجلى صراع الإيديولوجيات وتعالق اللغات داخل هذه الرواية؟،ثم كيف تعددت الأصوات والرؤى داخل المتن الروائي للرواية ؟، ولأجل محاولة الإجابة على هذه الأسئلة فقد تكوّن البحث من جزأين مسبوقين بتمهيد استعرضت فيه أهم الجوانب النظرية للحوارية، وقد جاء الجزء الأول بعنوان **حوارية الشخصيات** استجليت فيه تعددية الأصوات والرؤى والأفكار من خلال حوارية الشخصيات وجاء الثاني بعنوان **تعدد اللغات** من خلال عنصري التهجين والأسلبة ثم انتهيت بخاتمة لذكر أهم النتائج، وقد استعملت الدراسة المنهج السيسونصي، لدراسة التجليات الحوارية على مستويي البنية الداخلية والسياقات الخارجية للنص.

الكلمات المفتاحية: الحوارية، الإيديولوجيا، اللغة ، المنهج السيسونصي ، رواية جبل حالية.

Abstract :

This research aims at analyzing some of the dialogue data in the current narration of Jabal because of what characterized this novel according to our reading in terms of diversity and difference at the level of visions and characters and at the level of multilingualism, and employing some other methods within the text of the novel, and the research will try to answer the following questions: What is the extent of employment Dialogue mechanisms in the current novel Jabal? And how did the struggle of ideologies and the interdependence of languages manifest within this novel? Then, how did the voices and visions multiply within the narrative body of the novel? In order to try to answer these questions, the research consisted of two parts preceded by a preface in which the most important theoretical aspects of dialogue were reviewed. The first part came under the title Dialogue of Personalities, in which the plurality of voices, visions, and ideas was explored through the dialogue of the characters. The second part came under the title of Multilingualism through the elements of hybridization and stylization. Then I ended with a conclusion to mention the most important results.

Keywords: Dialogue, ideology, language, the Sisonian approach, a current mountain novel.

* **المؤلف المرسل**

1 . مقدمة:

ظلت السردية الحديثة منذ نشأتها على يد فلاديمير بروب تركز جهدها على البنية الشكلية للنصوص السردية متخذة من اللسانية الحديثة أدوات منهجية للبحث، وقد لقيت انتقادات كثيرة من الاتجاهات السياقية وبالأخص الاتجاه الماركسي الذي أكد على ربط النص السردي بمحيطه الاجتماعي، وفي أثناء هذا الصراع بين اتجاهين أحدهما يركز على النص ولا شيء خارج النص، والآخر يركز على السياق الخارجي مهملًا بنية النص اللغوية ظهرت أصوات حاولت التوسط بين الاتجاهين أهمها صوت الناقد الروسي ميخائيل باختين، الذي صاغ نظرية الحوارية متأثرًا بمرجعية فلسفية تتوسط بين الشكلية والماركسية، وعليه فقد جاء هذا البحث بهدف تحليل بعض معطيات الحوارية الباختينية في راوية جبل حالية لما تميزت به هذه الرواية بحسب قراءتنا من تنوع واختلاف على مستوى الرؤى والشخصيات وعلى مستوى تعدد اللغات، وتوظيف بعض الأجناس الأخرى داخل المتن الروائي، وسوف يحاول البحث الإجابة على التساؤلات

الآتية :ما مدى اشتغال آليات الحوارية في رواية جبل حالية؟ وكيف تجلى صراع الإيديولوجيات وتعالق اللغات دخل هذه الرواية؟،ثم كيف تعددت الأصوات والرؤى داخل المتن الروائي للرواية ؟، ولأجل محاولة الإجابة على هذه الأسئلة فقد تكوّن البحث من جزأين مسبوقين بتمهيد استعرضت فيه أهم الجوانب النظرية للحوارية، وقد جاء الجزء الأول بعنوان **حوارية الشخصيات** استجليت فيه تعددية الأصوات والرؤى والأفكار من خلال حوارية الشخصيات وجاء الثاني بعنوان **تعدد اللغات** من خلال عنصري التهجين والأسلبة، ثم انتهيت بخاتمة لذكر أهم النتائج، وقد استعملت الدراسة المنهج السيسونصي، لدراسة التجليات الحوارية على مستويي البنية الداخلية وعلاقتها بالسياقات الخارجية للنص.

ومن باب تأكيد جهود السابقين فقد وجدت دراسات سابقة اتخذت من رواية جبل حالة مدونة، وقد تباينت في مواضيعها ومناهجها وتساؤلاتها، منها :

ـ قصص إبراهيم مضواح دراسة من منظور إيكولوجي، محمد أبو ملحة، التواصل،جامعة عدن، نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي، ع28، يناير، 2012م.

وقد اقتصرت هذه الدراسة على دراسة مجموعات قصصية للكاتب ولم تدرس الرواية، واستهدفت دراسة مكون القرية من منظور النقد البيئي.

ـ جماليات المكان في رواية "جبل حالية" لإبراهيم مضواح الألمعي، عبدالرحمن المحسني، مجلة الآداب، جامعة ذمار، ع9، مارس، 2021.

وقد اقتصرت هذه الدراسة على دراسة جماليات المكان وتقيناته من منظور فني سيميائي.

ـ الأنساق الثقافية في رواية جبل حالية لإبراهيم مضواح الألمعي، قاسم عسيري، مجلة جامعة الملك خالد للدراسات الإنسانية، مج3، ع1، يونيو، 2016م.

كما أشير إلى بعض المقالات المهمة التي كتبت عن هذه الرواية، ومنها مقالة للدكتور محمد أبو ملحة في صحيفة الجزيرة السعودية، عنوانها : جبل حالية: رواية الاقتحام، (2009م)، ومقالة للدكتور مصطفى الضبع، إبراهيم مضواح يقف على جبل حالية، 2019م على موقع الكتابة الالكتروني.

ولأجل الوفاء بمتطلبات الدراسة وتساؤلاتها فقد ارتأت الدراسة استعمال المنهج السيسونصي؛ لدراسة التجليات الحوارية على مستويي البنية الداخلية والخارجية للنص.

يعدُّ مفهوم الحوارية من المفاهيم النقدية السردية الحديثة التي ظهرت في أوائل القرن العشرين وهو مصطلح يميّز به ميخائيل باختين بين روايات دوستيوفسكي بوصفها روايات متعددة الأصوات وبين الروايات ذات الطابع المونولوجي ذي الصوت الواحد، وهو مفهوم "ينطبق على الحركة التركيبة عند دوستيوفسكي بحيث

لا يقوم الجدال بين الشخصيات فقط، بل نجد بين مختلف عناصر الثيمات صراعًا، إذ تؤول الأحداث بشكل متنوع، وتتناقض الشخصيات"[1]، وقد ظل الفكر النقدي ينظر للفن الروائي من زاويتين: الأولى زاوية المجتمع التي تجعل من العمل الروائي انعكاسًا له وتعبيرًا عن همومه ومشاغله، والثانية زاوية الشكل التي تجعل منه بنية مغلقة لها قواعدها الفنية التي تحكمها، وفي كلا الزاويتين كان ينظر إلى الرواية بوصفها عملًا فنيًا خاضعًا لمؤلفه التي تعود إليه العصمة في تحريك الأحداث والشخصيات، وتقديم الوعي الثابت، بوصفه فردًا له وعيه الخاص الذي نفهمه من خلال الراوي الأوحد أو من خلال الشخصيات التي يدفعها إلى الإدلاء بصوته الوحيد[2]، من هنا حاول باختين الجمع بين هاتين الزاويتين من وجهة نظر جديدة (سيسو-نصية) تفيد من كلا المسارين ولا تتأطر في أحدهما، حيث رأى أن الاتجاه الاجتماعي اتجاه إقصائي يؤطر الفرد ويصادر حريته الفكرية، ويرى في الاتجاه الشكلي إهمالًا تامًا للمضمون الذي هو الأداة التي تربط العمل الأدبي بالمجتمع[3]، وعليه فقد اجترح منهجًا جديدًا يقوم على دراسة اللغة في الرواية بوصفها قيمة اجتماعية وأيدلوجية، وبوصفها بنية واحدة لها تراكيبها وقضاياها الخاصة[4].

لقد انطلقت فلسفة باختين من نقد الفلسفة الماركسية التي لا ترى في العمل الروائي إلاّ التزامًا بمنظومة القيم والأخلاق المجتمعية وانعكاسًا لتجلياتها المختلفة، ويتفق مع غولدمان في ضرورة تبني الفنان موقفًا جماليًا وأيدلوجيًا معينًا من الواقع حتى لو كان هذا الموقف يخالف الوعي الجمعي[5]، كما انطلقت من نقد الفلسفة الأسلوبية التقليدية التي ترى أن الأسلوب هو الفرد نفسه أو هو ترجمة لفكره ووعيه الخاص المنفصل عن وعي المجمع في الخارج[6]، حيث يقول:" إن صح أن الأسلوب هو الرجل فإن باستطاعتنا القول بأن الأسلوب هو رجلان – على الأقل- أو بدقة أكثر الرجل ومجموعته الاجتماعية مجسدين عبر المفوض، المستمع الذي يشارك بفعالية في الكلام الداخلي والخارجي للأول"[7]، وهذا يعني أنه لابد من توفر فاعلين على الأقل حتى ينشأ الخطاب وبالتالي تتجسد العلاقات الحوارية، فأي خطاب لابد من وجود علاقة جوهرية تربطه بتعبيرات أخرى بحسب باختين[8]، وهو المأخذ نفسه الذي أخذه على الأسلوبية الحديثة التي تهتم بدراسة اللغة مفصولة عن سياقاتها الاجتماعية والدلالية مما يجعلها غير صالحة لدراسة الخطاب الروائي المبني على تفاعلات بين عناصر مختلفة[9].

2. الحوارية والرواية :

لقد ركز باختين على الرواية لأنها كما يرى هي الخطاب الوحيد الأقدر على تجسيد التعددية والتنوع سواءً على مستوى الأصوات أو على مستوى التنوع الاجتماعي للغات ، وهذا التعدد خصيصة متفردة للرواية لا تتوفر في باقي أنواع الخطاب كالشعر[10].

إنّ الرواية في وعي باختين هي " التنوع الاجتماعي للغات "[11]، وعليه يمكن القول: أن الحوارية هي تلك العلاقات المتبادلة بين القارئ والنص من خلال المفردات التي تعد علامات أيدلوجية تصنع بطريقة معينة حوارًا مع الآخر تتداخل فيه السياقات وتتقاطع الرؤى[12]، وبمعنى أشمل فالحوارية هي: المبدأ اللغوي النقدي المهمين على الفضاء الروائي، وإذا كان باختين نفسه عندما صاغ مصطلح الحوارية أكد على وجود نوعين من الرواية مونوجلية وحوارية، فإنه عاد بعد ذلك ليقارن بين الرواية والشعر جاعلًا الخطاب الروائي خطابًا حواريًا بصورة مطلقة[13]، وعليه فإن كل رواية بوصفها جنسًا أدبيًا لابد أن تشتمل بطريقة أو بأخرى على نزعة حوارية* سواءً كانت مونولوجية أو ديالوجية، وهذه النزعة يمكن أن تتجلى في أكثر من صورة، وقد تتفاوت هذه الصور من دراسة لأخرى[14]؛ بسبب اشتمال النظرية الحوارية لدى باختين على بعدين أحدها تقني يقارب العناصر السردية للرواية، والآخر فلسفي يهتم بدارسة العناصر المتصلة بفلسفة اللغة[15] .

وقد وجدت الدراسة في رواية (جبل حالية) مجلى لبعض التمثلات الحوارية، منها حوارية الشخصيات التي تكشف عن تعدد الأصوات وصراع الأيدلوجيات، ومنها تعدد اللغات والأساليب، وعليه فسوف نحلّل هذه التمثلات من خلال: حوارية الشخصيات، وتعدد اللغات (التهجين، والأسلبة).

وقبل أن نذلف إلى الجانب التطبيقي سوف نلمح إلماحة سريعة إلى رواية جبل حالية فهي رواية كتبها إبراهيم مضواح* [16] يحكي فيها تحولات المجتمع القروي في حقبة ما بعد الطفرة ويجسد من خلال شخصية عمر السروجي وباقي الشخصيات (جمال الشخصية المنفتحة وسعيد الشخصية المحايدة ونافع الشخصية المتشددة، وشخصية المعلم المصري المؤمن بتعدد الآراء). تلك التحولات التي تجسد الصرعات الفكرية والحضارية التي مر بها المجتمع السعودي.

2 . 1 . حوارية الشخصيات وتعدد الأصوات والأيدلوجيات:

تمثل حوارية الشخصيات أو حوارية الأصوات، أو الحوارات الخالصة[17] الأساس الذي بنى عليه باختين نظريته، حيث ميز به روايات دوفيستوفسكي متعددة الأصوات عن الروايات ذات الطابع المونولوجي، وهي

مفهوم يشير إلى الحوار الذي يتخلل سيرورة الحكي[18]. وقد تحدث باختين عن الحوارية بمعنى شامل وواسع، وإنها ظاهرة خاصة بكل خطاب أو تلفظ، فالخطاب لكي يعبر عن موضوعه تخترقه شبكة من التعبيرات والنبرات الأجنبية، ويكون على اختلاف مع بعض عناصرها، وعلى ائتلاف مع عناصرها الأخرى. وداخل هذه السيرورة من الصوغ الحواري يشيد الخطاب ملامحه الأسلوبية ونظمه الدلالية[19] ؛ ولكن تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن الحوارية في الخطاب الروائي كما يرى باختين لها صوغ مختلف، وذلك لأن الرواية تقوم على تعددية الأصوات وتعددية اللغات بسبب التنوع الكبير في الشخصيات، إن الرواية تجمع الخطابات المختلفة وتضعها في علاقة مواجهة ، وتجعلها تتعايش وتتحاور وتتعامل مع بعضها البعض وبالتالي فإن الرواية لا تقوم على تأكيد الخطاب المتسلط بل على العكس من ذلك تقوم على الحوار الذي ينشأ بين الأصوات المختلفة[20]، وبهذا تتمكن الرواية وبالأخص الديالوجية من التعبير عن مجموع أفكار الشخصيات، وتختفي هيمنة الكاتب الأسلوبية والفكرية، ويدخل صوته في صراع مع الأصوات الأخرى بعد أن يترك لها الحرية لعرض أراءها، وبهذا يتحقق الوعي الشمولي بالواقع ويتحرر العمل من إطار الذاتية إلى الموضوعية[21]، ويمكن أن نستجلي هذا الصراع بين الأصوات والأفكار في رواية جبل حالية في أكثر من موقع، فقد يتحقق من خلال الحوار المباشرة بين الشخصيات، أو من خلال الحوارات الخفية التي يكمن أن نستشف منها اختلافًا في وجهات النظر بين الشخصيات، فعلى مستوى الحوارات المباشرة نجد مثلًا :[22]

– أما زلت تسمع الأغاني يا شيخ مصطفى؟!

–لا أسعى إليها ولا تسووني

– ألم تدرسوا في الأزهر حكم الغناء؟!

– درسناه، كما درسنا أيضاً أدب الحديث مع الذين علمونا.

– يجب ألا تغضب من كلمة الحق يا أستاذي. – إلى الآن لم أسمع كلمة حق أو باطل، ماذا تريد أن تقول ؟!

– لقد دعوتني أنا وعمر ونحن ندرس المتوسطة للجلوس معك فوق سطح غرفتك، وكنا في المرحلة المتوسطة، وكنت تسمع أغنية في الراديو، وتقرأ في مجلة مليئة بالصور، وأنت تمثل قدوة بالنسبة إلينا، فأنت تدرسنا الدين كان عليك ألا تقترف هذا الخطأ الشرعي والتربوي، وأنا أقول لك هذا من باب النصح والمحبة.

– مع أني مش فاكر، بس فين الخطأ التربوي والشرعي اللي بتقول عليه؟

– هي مجموعة أخطاء، أغاني وصور، وأمام طلابك

– يا ابني، نظرتي لأبناء السورجة أنهم رجال ناضجون وأنا أتعامل مع طلابي على هذا الأساس، بمن فيهم أنت يا أستاذ نافع بعدين قضية الأغاني اللي أنت شايفها قضية القضايا مسألة خلافية، واعتبرني يا أخي مقلدًا لمن قال بالجواز، أما الصور، فلو امتنعنا عن قراءة كل ما يحتوي صورًا يبقى مش حنقرأ حاجة.

– هذا التساهل في المسائل وتتبع الرخص الذي عُرف عن الأزهريين، وهو من البلاء الذي أتمنى ألا تكون أداة لنشره في السورجة يا شيخ مصطفى.

– لست ملزماً بالاقتناع برأيي ولا أنا ملزم باتباع رأيك. واختلاف الرأي لا يُفسد للود قضية كما يقول شوقي، والا رأيك إيه يا أستاذ عمر؟

في هذا الحوار نجد صوتين، صوت **نافع**، وصوت **الأستاذ مصطفى**، وقد بدأ الحوار تقليديًا من خلال السؤال والجواب، إلا أنه أخذ يتنامى ويدخل في تعقيدات أيدلوجية حول قضايا متشابكة تتمثل في حكم الغناء ومطالعة الصور، وهي من القضايا التي شغلت المجتمع في تلك الفترة، ويمثل نافع صوت الأيدلوجية التي ترى حرمتهما أيدلوجيا الصحوة* [23]، ويمثل الأستاذ مصطفى صوت الأيدلوجية التي ترى فيها مسألة خلافية، وبالرغم من الحدة الإقصائية التي عرفت عن إيدلوجيا الصحوة في مثل هذه المسائل، إلا أن الحوار هنا يبدو متزنًا، مارس فيه كل صوت حقه في عرض فكرته، وانتهى بالود وتقبل التعدد كما ظهر في ملفوظ الأستاذ مصطفى، وهذا ما يؤكد استقلال الشخصيتين فكريًا، وحرية كل منهما في عرض آرائه، وما يعزز قيمة الحوارية في هذا الحوار، غياب صوت الرواي إذ بدأ الحوار مباشرة بصوت الشخصيات، وهذا الغياب يدل على عدم انحياز الكاتب لأي وعي، بل اكتفى بتشخيص وعي كل شخصية، وبدت الأفكار مستقلة غير منغلقة على ذاتها وهذا طبيعة الأفكار الحوارية حيث أن كل فكرة تكشف عن نفسها في علاقة تماس وتوتر مع الأفكار المجاورة، بحيث لا تبدو صياغة فردية ذاتية بل تغدو صياغتها ووجودها نتيجة للعلاقة الحوارية بين أشكال الوعي المختلفة [24].

هذا ولم يكتف الكاتب في هذا الحوار بهذا القدر من التشخيص حيث قام بإدخال ثلاثة أصوات إضافية للصوتين السابقين، صوت **الراوي/ الكاتب**، وصوت **عمر**، وصوت **الفنانة نجاة الصغيرة** [25] :

– قال عمر: سقى الله تلك الأيام يا أستاذ مصطفى، قدمت لنا الشاي، وأشجيتنا بصوت نجاة الصغيرة، وأغنيتها: (حبايبنا في الغربة عاملين إيه).

– أه.. كم أبكي لهذه الأغنية، أشعر بأنها تسأل عني أنا وحدي، قالها والدموع تترقرق في عينيه.

– قال عمر: أجل يا أستاذ مصطفى لقد تحدرت على خدك دمعة أدهشتني تلك العشية.

– قال نافع: لا حول ولا قوة إلا بالله، بلغ بنا الأمر أن تُبكينا أغنية.

مع أن هذا الحوار هو امتداد للحوار السابق إلا أنه يختلف عنه في أنه جاء ممثلًا بصوت **الراوي**/ الكاتب حيث أحس الراوي أن الصوتين السابقين –**نافع والأستاذ مصطفى**– لم يتمكنا من تشخيص أفكارهما بشكل كامل، فتدخل ليقوم بمدّ الحوار عبر تشخيص أراء الشخصيتين، وعبر إضافة صوت **عمر** الذي يبدو أنه منحازًا لفكرة **الأستاذ مصطفى** إلا أنه لم يصرح بذلك، حيث تشترط الحوارية استقلال الشخصية في الحوار، إذ نلاحظ أن عمر قام بالتعبير عن موقفه بالانحياز لفكرة الأستاذ مصطفى دون أن يذوب في صوته، وذلك من خلال استعارة صوت خارج المسرح الفعلي للحوار هو صوت نجاة الصغيرة المتمثل في أغنيتها (حبايبنا في الغربة عاملين أيه).

لقد استطاع الكاتب في هذا الحوار من تشخيص أشكال وعي مختلفة عن طريق تعدد الأصوات المختلفة أيدلوجيًا، واستطاع كذلك أن يجعل من كل صوت شخصية مستقلة لها كيانها وفكرها الخاص، وهذه طبيعة الكاتب في نص الرواية الحوارية حيث يتجلى حضوره كما يقول بعض النقاد في الكيفية التي يتم بها تشخيص الأيديولوجيات في النص الروائي هذه الكيفية تضفي طابعاً حواريًا على الصراع الأيديولوجي، يواري موقف الكاتب. ويجعله يبدو في مظهر غير المنحاز وغير المتورط في هذا الصراع الأيديولوجي[26].

ومن الحوارت الأخرى التي تجسد تعدد الأصوات الحوار الذي دار بين **المطوع** و**أبو عمر** حول فكرة عدم التشدد في مسألة الصلاة للمريض[27]:

- **اتركه ينام**
- **والصلاة؟!**
- **الولد لم ينم منذ أيام، وعلاجه النوم، فلا تقطع علاجه.**
- **يصلي عندما يستيقظ، فالله مطّلع على حاله، وهو الغفور الرحيم.**

نلاحظ قيام الكاتب بتشخيص أيدلوجيتين مختلفتين عبر صوتين متصارعين صوت المطوع المتسامح مع حكمة الشرع، وصوت أبو عمر الذي لا يرى في العبادة غير الأداء السلوكي المجرد، وقد ترك الكاتب للصوتين حرية تشخيص رأييهما دون تدخل بدءًا من تجسيد الحوار عبر صوت الشخصيتين دون ظهور صوته، وهذه التقنية تعزز من قيمة الحوارية المبنية على تعدد الأصوات، وتحضر إلى جانب الحوارات السابقة

حوارات أخرى[28] استطاع من خلالها الكاتب أن يجسد حوارية الشخصيات والأيدلوجيات، مما يجعلنا أمام خطاب روائي يمثل الحوارية بامتياز.

وعلى مستوى **الحوارات الخفية**، وهي الحوارات غير الظاهرة التي تتجسد من خلال ثنائية مضمرة للذات الراوية أو الشخصية في صراعها الداخلي بين وجهتين أو أكثر، الأمر الذي يستحضر صراعًا مضمرًا بين هذه الوجهات التي تمثل أيدلوجيات مختلفة، ويتجسد من خلال المونولوج الداخلي أو على شكل حوار مع شخصية غائبة [29]. نجد من ذلك مثلًا [30]:

" يؤرقه عجزه عن اتخاذ القرار، مع أنه لا يرى الانتحار عاراً، فقد انتحر (همنجواي) الذي صوب البندقية ذات الماسورة المزدوجة نحو جبهته، وضغط الزناد بآخر قوة كان يمتلكها. وخليل حاوي الذي أطلق الرصاص على نفسه ليضع حداً لمأساته الشخصية المؤسسة على مأساة شعبه ووطنه. و(هنري دي مونترلان) الذي أنهى حياته بطلقة من مسدسه. ولم يلحق أياً منهم العار بسبب انتحاره. بل إن واحداً في المئة من بين الوفيات تكون نهايته بالانتحار، فلم لا يكون الواحد من بين مئة من أبناء السورجة؟ الانتحار ظاهرة رفض للحياة بصيغتها غير الممكنة، وعمر يرفض صيغة الحياة التي يعيشها لكنه لا يجرؤ على الانتحار بحجج دينية أحيانًا " .

يتضح من خلال النص السابق وجود حوار مونولوجي للشخصية /عمر، وهو حوار غير ظاهر تم تشخيصه عن طريق صوت الراوي، ويتضح منه وجود صراع بين وجهتي نظر مختلفة حول فكرة الانتحار، الأولى تجسدها الثقافة غير الإيمانية المتمثلة في بعض الأشخاص الذين أقدموا على الانتحار، والأخرى تجسدها الثقافة المؤمنة التي ترفض هذه الفكرة، ومن خلال هاتين الوجهتين المختلفين يتجسد صراع الأيدلوجات وتعدد وجهات النظر، وهو ما يؤكد طبيعة الرواية الحوارية.

2 . 2 . تعدد اللغات:

يعدّ تعدد اللغات من سمات الرواية الحوارية حيث يرى باختين " أن السمات الأساسية للكاتب الروائي ، التحدث عن نفسه في لغة الآخرين ، والتحدث عن الآخرين من خلال لغته الخاصة به، ومن ثم فإن الروائي يلجأ إلى عدة وسائل لتكسير لغته وحرفها حتى لا تبدو مباشرة أو أحادية، وهذا ما يجعل التعدد اللغوي والشكلي يحقق انكسار نوايا الكاتب ، كما يضمن ثنائية الصوت للنص الروائي[31]، ويعدّ تعدد اللغات من الأساليب التي يتغياها الروائي بهدف جعل لغة الرواية نسقًا من اللغات منظمًا أدبيًا وهو ما أطلق عليه باختين (التنضيد التراتبي) [32]، ويمكن أن تتجسد التعددية اللغوية داخل المتن الروائي من

خلال أكثر من تقنية منها **التهجين**، ويعني " مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد، وهو أيضًا التقاء وعيين لغويين مفصولين بحقبة زمنية، وبفارق اجتماعي، أو بهما معًا، داخل ساحة ذلك الملفوظ، ولا بد أن يكون قصديًا" [33]، ويتجسد التهجين داخل الرواية بأكثر من طريقة[34]، أهمها أن يمزج الكاتب لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد بواسطة الحوار المباشر بين الشخصيات نجد من ذلك مثلًا [35]:

– قال الأستاذ مصطفى: يا أخي دول مش عايزين يفهموا أن الغناء يتعدد، وتتعدد أحكامه إلى درجة أن الغناء اللي بيتكلّم عليه المحرمون مش هو الغناء اللي بيتكلم عنه المبيحون، وجاء المقلدون فأطلقوا التحريم على الكل والمبيحون وقعوا في المطب نفسه فأباحوا الغناء بإطلاق.

– قال نافع الالتزام بالدين هو الحل الوحيد، وما سواه أوهام في رؤوسكم. وأرجو أن يبقى رأيك هذا يا شيخ مصطفى خاصاً بك، وألا تشيعه بين الطلاب.

– أولاً: إحنا بنتحاور في مسألة علمية، مفيش داعي يا أنا حضرة المدير تمارس سلطتك الإدارية في الحوار وبعدين درست لك المرحلة المتوسطة كاملة يا نافع، هل تتذكر أني في مرة حاولت التشويش عليكم، وذكرت آراء غير المقررة في المنهج، برغم أن معظم مسائل الدين اللي بتدرسوها فيها أقوال أخرى، ولكل قول أدلته، وقد رجح عندي بعض تلك الأقوال غير المقررة، ولكني ألتزم بالعقد اللي بيني وبين الوزارة، في تدريس مقرر محدد.

من خلال الحوار السابق يتجلى حضور لغتين مختلفتين اجتماعيًا، وهو تهجين قصدي من الكاتب، بخلاف التهجين غير الواعي كالتهجين الذي يتم في سياق الحوارات اليومية بين اللغات في حقل اجتماعي واحد[36]، حيث نلاحظ أثره الواضح في تشخيص الصراع الأيدلوجي بين الشخصيتين المتحاورتين فكل شخصية له رأيها ولها لغتها وسياقها الاجتماعي المختلف.

وبالإضافة إلى التهجين تحضر **الأسلبة**، وهي نوع من التهجين لكنها تختلف عنه في عدم اشتراط حضور لغتين في ملفوظ واحد، وإنما تظهر في الملوظ لغة واحدة مباشرة يتم تشخيصها من خلال لغة أخرى ضمنية[37]، وتعني الأسلبة دخول أسلوب النص الروائي في علائق مع أساليب أخرى غريبة، من خلال إضاءة متبادلة، دون أن يؤول هذا الأمر إلى توحيد الأساليب داخل ملفوظ واحد ، بمعنى استعانة وعي أسلوبي معاصر بوعي أسلوبي أجنبي عنه[38]، من ذلك مثلًا استعانة الكاتب بأسلوب اللغة الساخرة ليعبر عن وجهات النظر المختلفة ، مثل[39]:

" هل تشك في نوايا الفاتحين، والمجاهدين أيها المؤرخ العظيم ؟".

ومثل قول عمر ساخرًا من تشدد نافع في مسألة تحريم السلام على النساء الكبيرات :

" أين عمتي ؟ أم أنني لست محرمًا عليها أيضًا ؟! " [40]

ومثل قول نافع ساخرًا من الأستاذ مصطفى[41]:

" ألم تدرسوا في الأزهر حكم الغناء؟!".

نلاحظ من خلال ملفوظ الشخصيات حضور اللغة الساخرة، وهو أسلوب يتجاور مع أسلوب الرواية ليخلق ثنائية أسلوبية تضاف إلى سمات التعدد التي اتسمت بها الرواية، فهي تعد بمثابة اللغة الثانية، كما أن الأسلبة بهذا الشكل تساهم في إضاءة الموضوع السردي الذي تمثله الشخصية من خلالها[42].

3 ـ الخـاتمة:

بعد تحليل تجليات الحوارية في رواية جبل حالية نستطيع القول بأن الرواية المدروسة تحمل طبيعة الحوارية التي أكد عليها باختين وجعليها ميزة الخطاب الروائي، ويظهر هذا الأمر من خلال عدة مستويات، منها:

- تتوافر الشخصيات الروائية في رواية جبل حالية على قدر من الاستقلال الأيدلوجي واللغوي، وعلى منظور مسقل، وقد استطاعت كل شخصية بسبب ذلك أن تشخص وعيها الخاص، واستطاعت بفعل هذا الاستقلال أن تحد من هيمنة الراوي الواحد، ومارست تأثيرها عليه .
- لقد أدى تعدد الأصوات والإيدلوجيات إلى كسر هيمنة الكاتب، وإخفاء صوته الأحادي، من خلال تعددية الأصوات والشخصيات التي تتسم كل واحدة منها بالاستقلالية، مما جعل الرواية مسرحًا لصراع الأصوات والأفكار، وهذا الصراع جعل من الرواية خطابًا تعدديًا بامتياز، ينفتح على متعدد القراءات والتأويل.
- استطاع الكاتب من خلال عنصري التهجين والأسلبة أن يكسر أحادية اللغة، وهو توظيف أدى بالإضافة لسمة التعدد إضاءات دلالية على مستوى الوعي ووجهة النظر السردية .

4 ـ الهوامش:

[1] سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م، ص 79.

[2] ينظر: حميد لحميداني، أسلوبية الرواية، مدخل نظري، منشورات دراسات سيميائية أدبية لسانية، المغرب، ط1، 1989م، 92.

[3] حميد باسم صالح، النزعة الحوارية في الرواية، باسم صالح حميد، مجلة علامات، النادي الأدبي بجدة، مج51، ع13، 2004م، ص598، 599.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 601.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص 602.

[6] ينظر: خديجة سربوك، صفية بن زينة، الحوارية في الرواية الجزائرية: مرايا متشظية لعبدالملك مرتاض أنموذجا، جامعة حسيبة بو علي، ع9، ديسمبر، 2018م، ص 263.

[7] تودوروف، تزفيتان، ميخائيل باختين : المبدأ الحواري، تر: فخري صالح ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1992م، ص 124.

[8] ينظر: المرجع نفسه، 121.

[9] ينظر: ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1987م، ص 38.

[10] ينظر: المرجع نفسه، ص37وما بعدها .

[11] المرجع نفسه، ص39.

[12] ينظر: سمير حجازي، معجم المطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الراتب، الجزائر، ص207 .

[13] ينظر: حميد باسم صالح، النزعة الحوارية في الرواية، مرجع سابق، ص609، 610.

[14] ينظر: المرجع نفسه، ص607 – 608.

* ذكر بعضهم عشر سمات للرواية الحوارية منها اشتمالها على أصوات متعددة، وتمثيل كل صوت لكيانه، وتصارع وجهات النظر واختلافها تبعًا لاختلافها عند الشخصيات، وأن تكون الشخصية الروائية منفتحة على العالم ومستقلة تتقبل الآخر وتقيم حوارًا معه، وأن تكون الفكرة الحوارية غير منجزة وغير مستقرة ولانهائية تتنازعها الأصوات المتصارعة حولها، وأن تتنوع اللغات والأساليب، وأن يكون هناك مسافة فاصلة بين المؤلف والشخصيات بحيث لا يندمج الوعي الذاتي للشخصيات مع وعي المؤلف وصوته، وأن يكون هناك مسافة بين الشخصيات فلا يندمج صوت بآخر ولا يتشربه ولا يمتص قيمته الأيدلوجية، بل يبقى كل صوت مستقلًا (ينظر: النزعة الحوارية في الرواية، ص607 – 608)

[15] ينظر: المرجع نفسه، ص609.

[16] ينظر: معجم الأدب والأدباء ، دارة الملك عبدالعزيز، المحتوى الرقمي:
https://www.darahsys.com/saudiliterature/pages/page2.php

* إبراهيم مضواح: قاص وروائي وباحث ولد في محافظة رجال ألمع بمنطقة عسير. حصل على الشهادة الجامعية في الشريعة من جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية فرع الجنوب سابقًا سنة 1414هـ، ثم عمل بالتدريس في جميع مراحله، وهو يعمل الآن مشرفًا للإعلام التربوي بتعليم رجال ألمع منذ سنة 1420هـ (2000م)، وعضوًا بمجلس إدارة نادي أبها الأدبي* منذ سنة 1432هـ. وقد حققت روايته الأولى «جبل حالية» المركز الثاني في «جائزة الشارقة للإبداع العربي» عام 2008م وله مجموعات أخرى قصصية منها قطف الشوك ورصيف الحياة وغيرها، ينظر: معجم الأدب والأدباء ، دارة الملك عبدالعزيز، المحتوى الرقمي.

[17] يرى باختين أن هناك تجليًا لحوارية الشخصيات يتم عن طريق الحوارات المباشرة، أو عن طريق الحوارات الخفية، (ينظر: الخطاب الروائي، ص151 وما بعدها).

[18] ينظر: محمد أبوعزة، حوارية الخطاب الروائي، التعدد اللغوي والوليفونية، اتحاد كتاب المغرب، ط1، 2012، ص30.

[19] المرجع نفسه، ص 65.

[20] ينظر: خديجة سربوك، صفية بن زينة، الحوارية في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص263.

[21] ينظر: محمد أبوعزة، حوارية الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص68

[22] إبراهيم مضواح، رواية جبل حالية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2009م، ص127– 128.

[23] * الصحوة حركة فكرية إسلامية تبنت خطابًا دينيًا يصفه البعض بالتشدد، تعود أصولها إلى حركة الاخوان المسلمين المتبنية لما يسمى بالإسلام السياسي، ولمعرفة طبيعة هذا الخطاب وممارساته (ينظر: لاكروا ستيفان، زمن الصحوة، الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية، ت، عبدالحق الزموري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2012م. وينظر: عبدالله الغذامي، مابعد الصحوة ، تحولات الخطاب من التفرد إلى التعدد، المركز الثقافي العربي، ط1، 2015م).

[24] ينظر: محمد أبوعزة، حوارية الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 94.

[25] رواية جبل حالية، 128.

[26] محمد أبوعزة، حوارية الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص97 – 98.

[27] رواية جبل حالية، ص56.

[28] ينظر: رواية جبل حالية، ص 87، وص99، وص118.

[29] ينظر: مهل المطيري، الحوارية الباختينية في المنجزات الإبداعية عند معجب الزهراني: رواية "رقص" أنموذجًا، سلسلة أبحاث طلاب الدراسات العليا في الأدب السعودي، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، مج2، 2015م، ص 414.

[30] رواية جبل حالية، ص88، 89.

[31] ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص29.

[32] ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

[33] المرجع نفسه، ص 28.

[34] من طرق تشخيص الهجنة غير الحوار الخفي الذي يتم بين البطل مثلًا وشخصية غائبة، لها وعي مختلف عن وعي البطل، وكلا الوعيين يتم صياغتها في ملفوظ واحد له طابع حواري ، ينظر، أسلوبية الرواية، ص 87

[35] رواية جبل حالية، ص 130.

[36] ينظر: حميد لحميداني، أسلوبية الرواية، ص88.

[37] ينظر: المرجع نفسه، ص 88.

[38] ينظر: ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 18.

[39] رواية جبل حالية، ص118.

[40] رواية جبل حالية، ص99.

[41] رواية جبل حالية، ص127.

[42] ينظر: مهل المطيري، الحوارية الباختينية في المنجزات الإبداعية عند معجب الزهراني، مرجع سابق، ص 426.

5 ـ المصادر والمراجع :

1. إبراهيم مضواح، رواية جبل حالية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2009م.

2. مهل المطيري، الحوارية الباختينية في المنجزات الإبداعية عند معجب الزهراني: رواية "رقص" أنموذجًا، سلسلة أبحاث طلاب الدراسات العليا في الأدب السعودي، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، مج2، 2015م.

3. معجم الأدب والأدباء ، دارة الملك عبدالعزيز، المحتوى الرقمي:
https://www.darahsys.com/saudiliterature/pages/pag

4. تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختي: المبدأ الحواري، ت، فخري صالح ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1992م.

5. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1987م .

3. سمير حجازي، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الراتب، الجزائر، ب،ت.

4. حميد باسم صالح، النزعة الحوارية في الرواية، مجلة علامات، النادي الأدبي بجدة، مج51، ع13، 2004م.

6. خديجة سربوك ، صفية بن زينة، الحوارية في الرواية الجزائرية: مرايا متشظية لعبدالملك مرتاض أنموذجا، جامعة حسيبة بو علي، ع9، ديسمبر، 2018م.

7. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م.

8. عبدالله الغذامي، مابعد الصحوة، تحولات الخطاب من التفرد إلى التعدد، المركز الثقافي العربي، ط1، 2015م

9. ستيفان لاكروا، زمن الصحوة، الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية، تر: عبدالحق الزموري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2012م

10. حميد لحميداني، أسلوبية الرواية، مدخل نظري، منشورات دراسات سيميائية أدبية لسانية، المغرب، ط1، 1989م.